الأحاديث القدسية
للأطفال

سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي
وأحاديث أخرى

إعداد
سلامة محمد سلامة

رسوم
رأفت محيي الدين

إخراج
جمال عبد الغفار

سفير

beiladi.com

شركة سفير

محمد ، سلامة

الأحاديث القدسية للأطفال/

سلامة محمد

١٢ص، ٢٣×٢٣سم

١- الأحاديث القدسية للأطفال

سَبَقَتْ رَحْمَتِى غَضَبِى

٢- الأطفال - ثقافة

أ-محمد، سلامة

ب-العنوان

ديوى/ ٢٣٧

رقم الإيداع ٢١٥٠٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى

ISBN 977-361-384-4

obeikandl.com

سَبَقَتْ رَحْمَتِى غَضَبِى

عَنْ «أَبِى هُرَيرَةَ» عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«سبَقَتْ رَحْمَتِى غَضَبِى» (رَوَاهُ مُسْلِمُ).

قَدِمَ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ يَوْمًا بَعْضُ الأَسْرَى ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمُ امْرَأَةٌ إِذَا رَأَتْ طِفْلاً رَضِيعًا يَبْكِى أَخَذَتْهَا الشَّفَقَةُ والرَّحْمَةُ، فَكَانَتْ تُسْرِعُ نَحْوَهُ، وَتُرْضِعُهُ مِنْ لَبَنِهَا وَتُرَبِّتُ عَلَى ظَهْرِهِ فِى حَنَانٍ وَعَطْفٍ كَبِيرَيْنِ، وَهُوَ لَيْسَ بِوَلَدِهَا ، وَلاتَعْرِفُهُ، فَلَمَّا رَآهَا النَّبِىُّ ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَظُنُّونَ أَنَّ هَذِهِ المَرْأَةَ تُلْقِى بِوَلَدِهَا فِى النَّارِ؟» فَقَالُوا: لايَارَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

إنَّ الرَّحْمَةَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ– فَهُوَ سُبْحَانَهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الَّذِى خَلَقَنَا، وَشَمِلَنَا بِرِعَايَتِهِ وَعِنَايَتِهِ، وَهُوَ الَّذِى يُطْعِمُنَا وَيَسْقِينَا، وإِذَا مَرِضْنَا فَهُوَ يَشْفِينَا، وَهُوَ الَّذِى يَدْفَعُ عَنَّا كُلَّ مَكْرُوهٍ وَسُوءٍ، وَيَحْفَظُنَا مِنَ الوُقُوعِ فِى المَعَاصِى، وَيَتَعَطَّفُ عَلَى المُذْنبينَ مِنَّا فَيَدْفَعُهُم إِلَى التَّوْبَةِ ، وَيَتُوبُ عَلَيْهِم وَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ – تَعَالَى– وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ، فَهِىَ تَصِلُ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ. وَجَمِيعُ المَخْلُوقَاتِ فِى حَاجَةٍ إِلَيْهَا، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ «الأعراف:١٥٦»

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وأَنْزَلَ إِلَى الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ جَمِيعُ الخَلْقِ حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ، حَتَّى العَاصِينَ والكَافِرِينَ تَشْمَلُهُم رَحْمَةُ اللَّهِ الوَاسِعَةُ مَعَ المُؤْمِنِينَ، لَكِنَّ ذَلِكَ يَحْدُثُ فِى الدُّنْيَا فَقَطْ، أَمَّا فِى الآخِرَةِ فَهِىَ تَخُصُّ عِبَادَ اللَّهِ المُؤْمِنِينَ الطَّائِعِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَعَلَى العَبْدِ المُؤْمِنِ أَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى يَنالَ رَحْمَتَهُ فِى الآخِرَةِ،وَأَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِى حَتَّى لايَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيهِ فَيَسْتَحِقُّ عُقُوبَتَهُ وَعَذَابَهُ.

نَجاةُ قَومِ يُونُسَ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَتْ هُنَاكَ مَدِينَةٌ تَقَعُ عَلَى الشَّاطِئِ الشَّرقِيِّ لِنَهْرِ دِجْلَةَ تُسَمَّى نِينَوَى، وَكَانَ أَهْلُ تِلْكَ المَدِينَةِ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ– وَيَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيهِم نَبِيَّهُ «يُونُسَ بنَ مَتّى» لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ، وَتَرْكِ مَاهُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلالِ ، لَكِنَّهُم أَصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِم وَعِنَادِهِم، فَسَعَى «يُونُسُ» – عَلَيْهِ السَّلامُ– إِلَى إِصْلاحِهِم وَهِدَايَتِهِم، لَكِنَّهُم كَانُوا يُقَابِلُونَ دَعْوَتَهُ بِالتَّكْذِيبِ وَالعِنَادِ وَالكُفْرِ، فَلَمَّا وَجَدَ نَبِيُّ اللَّهِ «يُونُسُ» مِنْهُمْ هَذَا الجُحُودَ وَالنُّكْرَانَ تَوَعَّدَهُم بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُنْزِلُ بِهِمُ العَذَابَ الشَّدِيدَ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَينِهِم غَاضِبًا عَلَيهِم، وَبَعْدَ رَحِيلِ«يُونُسَ»– عَلَيهِ السَّلامُ– عَلِمَ أَهْلُ «نِينَوَى» أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ «يُونُسَ» قَدْ صَدَقَهُم، فَنَدِمُوا نَدَمًا شَدِيدًا، وَبَدَأَ الخَوْفُ يَدُبُّ فِي قُلُوبِهِم، ولَمْ يَجِدُوا أَمَامَهُم مَلْجأً مِنَ اللَّهِ إِلا إِلَيْهِ، فَخَرَجُوا جَمِيعًا رِجَالاً وَنِسَاءً وَشُيُوخًا وَأَطْفَالاً يَسْتَغِيثُونَ بِاللَّهِ– سُبْحَانَهُ– وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ الصَّفْحَ وَالغُفْرَانَ، وَقَدْ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُم بِالدُّعَاءِ، وَذَرَفَتْ أَعْيُنُهُم بِالدَّمْعِ، فَعَلِمَ اللَّهُ صِدْقَ تَوْبَتِهِم فَرَحِمَهُم، وَتَابَ عَلَيهِم، وَرَفَعَ عَنْهُم العَذَابَ الَّذِي تَوَعَّدَهُم بِهِ، وَعِنْدَمَا عَادَ إِلَيهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ «يُونُسُ»– عَلَيهِ السَّلامُ– وَجَدَهُم قَدْ آمَنُوا جَمِيعًا.

تَوَاضَعُوا وَلَايَبْغِى بَعْضُكُم عَلَى بَعْضٍ

عَنْ« أَنَسِ بنِ مَالِكٍ » قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا، وَلَايَبْغِى بَعْضُكُم عَلَى بَعْضٍ».

(رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ)

سُئِلَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ فَقَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُم فِي بَيْتِهِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ، وَثِقَلِ المَسْئُولِيَّةِ المُلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِهِ يَحْلُبُ الشَّاةَ لأَهْلِهِ، وَيَعْلِفُ بَعِيرَهُ، وَيَأْكُلُ مَعَ خَادِمِهِ، وَيُجَالِسُ المَسَاكِينَ، وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلامِ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ حَتَّى وَلَوْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ بَسِيطٍ، وَكَانَ الدَّاخِلُ عَلَيْهِ ﷺ لايَعْرِفُهُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ؛ لأَنَّهُ كَانَ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَهُم كَوَاحِدٍ مِنْهُم، فَإِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاةُ وَقَفَ ﷺ خَاشِعًا خَاضِعًا مُتَذَلِّلاً لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، فَذَلِكَ كَانَ تَوَاضُعُهُ ﷺ، وَذَلِكَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كُلُّ مُسْلِمٍ، مُتَوَاضِعًا لِرَبِّهِ، خَاضِعًا مُتَذَلِّلاً لَهُ– سُبْحَانَهُ– مُتَمَثِّلاً لأَوَامِرِهِ، مُنْتَهِيًا عَنْ نَوَاهِيهِ فِي غَيرِ مُعَارَضَةٍ أَوْ مُخَالَفَةٍ، بَلْ فِي خُضُوعٍ وَانْقِيادٍ وَرِضًا، لِيِّنًا مَعَ النَّاسِ، وَلَكِنْ فِي غَيرِ ذِلَّةٍ أَوْ مَهَانَةٍ، لايَرَى لِنَفْسِهِ فَضْلاً عَلَى أَحَدٍ، بَلْ يَرَى دَائِمًا أَنَّ الفَضْلَ لِلنَّاسِ عَلَيهِ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ خُلُقَ العَبْدِ مَعَ رَبِّهِ، وَمَعَ جَمِيعِ خَلْقِهِ – سُبْحَانَهُ– فَلَنْ يَكُونَ جَزَاءُ ذَلِكَ العَبْدِ المُتَوَاضِعِ عِنْدَ اللَّهِ إلا عِزًا وَعُلُوًا وَرِفْعَةً وَمَكَانَةً فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، قَالَ ﷺ :«وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ اللَّهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

تَواضُعٌ إلَى ما لا نِهايَةَ

خَرَجَ أَميرُ المُؤْمِنينَ «عُمَرُ بنُ الخَطَّاب»– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– ذَاتَ لَيْلَةٍ يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ المُسْلِمينَ، فَإِذَا بِهِ يَجِدُ امْرَأَةً تَجْلِسُ فِي بَيْتِهَا، وَحَوْلَهَا صِغَارٌ لَهَا يَبْكُونَ، وإِذَا بِقِدْرٍ عَلَى النَّارِ قَدْ مَلأَتْهَا بِالمَاءِ، فَاقْتَرَبَ مِنْهَا، وَقَالَ مُسْتَغْرِبًا: يَاأَمَةَ اللَّه، مَا سَبَبُ بُكَاءِ هَؤُلاءِ الصِّبْيَان؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُم يَبْكُونَ مِنَ الجُوعِ، فَقَالَ: وَمَا هَذِهِ القِدْرُ الَّتِي عَلَى النَّارِ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ جَعَلْتُ فِيهَا مَاءً، وَأَوْهَمْتُهُم أَنَّ بِهَا شَيْئًا مِنْ دَقِيقٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ وَضَعْتُهَا عَلَى النَّارِ لأُعَلِّلَهُم بِهَا حَتَّى يَنَامُوا، فَبَكَى «عُمَرُ» بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ ذَهَبَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى دَارِ الصَّدَقَةِ وَأَخَذَ بَعْضًا مِنَ الدَّقِيقِ وَالسَّمْنِ وَالشَّحْمِ والتَّمْرِ وَالثِّيَابِ وَالدَّرَاهِمِ، ثُمَّ قَالَ لِخَادِمِه: احْمِلْ عَلَيَّ هَذَا . فَقَالَ الخَادِمُ: يَاأَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ!

فَقَالَ لَهُ: بَلْ أَنَا أَحْمِلُهُ بِنَفْسِي؛ لأَنِّي المسْئُولُ عَنْهُم يَومَ القِيَامَةِ.

وَحَمَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ الطَّعَامَ وَالمَلابِسَ وَالمَالَ، وَسَارَ حَتَّى مَنْزِلِ المَرْأَةِ، ثُمَّ أَخَذَ القِدْرَ، وَوَضَعَ فِيهَا بَعْضًا مِنَ الدَّقِيقِ وَالشَّحْمِ والتَّمْرِ، وَجَعَلَ يَطْبُخُهُ بِنَفْسِه، وَيَنْفُخُ فِي النَّارِ بِفَمِهِ حَتَّى تَخَلَّلَ دُخَانُ النَّارِ لِحْيَتَهُ، فَلَمَّا نَضِجَ الطَّعَامُ، أَخَذَ يُطْعِمُ الأَوْلادَ بِيَدِهِ فَلَمَّا شَبِعُوا جَلَسَ إِلى جَوارِهِمْ حتَّى لَعِبُوا وَضَحِكُوا، فَقَالَ لِخَادِمِه: أَتَدْرِي لِمَا جَلَسْتُ إِلَى جوَارِهِم؟ فَقَالَ: لا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ:

فَقَالَ: رَأَيْتُهُم يَبْكُونَ فَكَرِهْتُ أَنْ أَذْهَبَ حَتَّى أَرَاهُم يَضْحَكُونَ، فَلَمَّا ضَحِكُوا طَابَتْ نَفْسِي.

عَنْ «أَبِي هُرَيرَةَ» أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ» قَالَ: «إِنَّ للَّه- عزَّ وجلَّ ملائكةً فُضلاً يتبعُونَ مجالسَ الذِّكْرِ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ الذِّكْرِ فَإِذَا مَرُّوا بِمَجْلِسٍ عَلاَبَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ حَتَّى يَبْلُغُوا العَرْشَ فَيَقُولُ اللَّهُ- عزَّ وَجلَّ- لَهُم -وَهُوَ أَعْلَمُ- : مِنْ أَيْنَ جِئْتُم؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ عِنْدِ عِبيدٍ لَكَ يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ ويَتَعَوَّذُونَ بِكَ مِنَ النَّارِ وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. فَيَقُولُ: يَسْأَلُونِي جَنَّتِي هَلْ رَأَوْهَا؟ فَكَيفَ لَوْ رَأَوْهَا؟. ويَتَعَوَّذُونَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ فَكَيفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم. فَيَقُولُونَ: رَبِّنَا إِنَّ فِيهِم عَبْدَكَ الخَطَّاءَ فُلاَنًا مَرَّ بِهِم لِحَاجَةٍ لَهُ فَجَلَسَ إِلَيهِم فَقَالَ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ: أُولَئِكَ الجُلَسَاءُ لاَيَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُم» (رَوَاهُ أَحْمَدُ).

إِنَّ ذِكْرَ اللَّه -عزَّ وَجلَّ- مِنْ أَفْضَلِ العِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَنَا بِهَا اللَّهُ- سُبْحَانَهُ- وَحَثَّنَا عَلَيهِ رَسُولُهُ ﷺ قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب٤١-٤٢]

وَقَالَ ﷺ: «لايَقْعُدُ قَومٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عزَّ وَجلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُم المَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَذِكْرُ اللَّه قَدْ يَكُونُ بِالتَّسْبِيحِ وَالحَمْدِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ بِأَنْ نَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّه، وَالحَمْدُ للَّه، واللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاإِلَهَ إلا اللَّهُ، وَقَدْ يَكُونُ بِالدُّعَاءِ، أَوْ بِقِرَاءَةِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَعُلُومِ الدِّينِ، وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا بِتِلاوَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ أَنْوَاعِ الذِّكْرِ، وَالمُؤْمِنُ يَجْعَلُ لِسَانَهُ دَائِمًا رَطِبًا بِذِكْرِ اللَّه فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنْ لَيلٍ أَوْ نَهَارٍ، فَإِن اسْتَحْضَرَ قَلْبُهُ مَعَ لِسَانِه، وَتَدَبَّرَ وَتَفَكَّرَ فِي مَعْنَى مَا يَقُولُ كَانَ ذَلِكَ أَكْمَلَ وَأَفْضَلَ.

وَمِنْ فَضْلِ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، وَعِظَمِ مَكَانَتِهَا عِنْدَ اللَّه- سُبْحَانَهُ - أَنَّهُ قَدْ خَصَّصَ لَهَا مَلاَئِكَةً لاَوَظِيفَةَ لَهَا إِلا رَصْدُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، يَطُوفُونَ فِي الأَرْضِ يَبْحَثُونَ عَنْهَا، فَإِنْ وَجَدُوا مَجْلِسًا الْتَفُّوا حَوْلَهُ وَعَلا بَعْضُهُم فَوْقَ بَعْضٍ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

وَجَائِزَةُ مَنْ يَحْرِصُ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ عِنْدَ اللَّه عَظِيمَةٌ، إِذْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِه، وَلَيْسَ ذَلِكَ فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّهُ- سُبْحَانَهُ- يَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ فِي المَجْلِسِ حَتَّى وإِنْ كَانَ بَيْنَ الجَالِسِينَ عَبْدٌ كَثِيرُ الذُّنُوبِ، جَاءَ لِحَاجَةٍ لَهُ، وَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ مَجْلِسِ الذِّكْرِ.

مَصَابِيحُ فِى السَّمَاءِ

بَيْنَمَا كَانَ الصَّحَابِىُّ الجَلِيلُ «أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ» يَقْرَأُ القُرآنَ الكَرِيمَ فِى جَوفِ اللَّيلِ إذَا بِفَرَسِه تَقْفِزُ فِى مَكَانِهَا قَفْزًا شَدِيدًا، مُحْدِثَةً جَلَبَةً عَالِيَةً، فَتَوَقَّفَ «أُسَيدٌ» عَنِ القِرَاءَةِ، فَهَدَأَتِ الفَرَسُ عَنِ الحَرَكَةِ، فَلَمَّا اسْتَمَرَّ فِى قِرَاءَتِه قَفَزَتْ، وَكَانَ وَلَدُهُ الصَّغِيرُ «يَحْيَى» قَرِيبًا مِنْهَا، فَخَشِىَ «أُسَيْدٌ» أَنْ تُصِيبَهُ بِحَوَافِرِهَا، فَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ، وَجَذَبَهُ إِلَى جِوَارِهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا بِهِ يَجِدُ سَحَابَةً عَظِيمَةً فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ المُضِيئَةِ تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ شَيئًا فَشَيئًا حَتَّى تَوَارَتْ عَنِ الأَنْظَارِ. فَتَعَجَّبَ مِنْ أَمْرِهَا، وَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ شُرُوقِ الصُّبْحِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُ رسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**اقْرَأْ يا ابنَ حُضَيرٍ، اقْرَأ يا ابنَ حُضَيرٍ**»، أَىْ: كَانَ يَنْبَغِى أَنْ تَسْتَمِرَّ فِى قِرَاءَتِكَ. فَقَالَ«ابنُ حُضَيرٍ»: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى وَلَدِى أَنْ تَطَأَهُ الفَرَسُ يَارَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**وَتَدْرِى مَاذَاكَ؟**» فَقَالَ: لا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**تِلْكَ المَلائِكَةُ تَسْتَمِعُ لَكَ،لَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُم**».

الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي

عَنْ« أَبِي هُرَيرَةَ » قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ». (رَوَاهُ أَبُودَاوُدَ)

كَانَ«إِبْلِيسُ» مِنَ الجِنِّ، وَقَدْ أَسْكَنَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ لِكَثْرَةِ طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ «آدَمَ»– عَلَيهِ السَّلَامُ– وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ أَنْ تَسْجُدَ لَهُ سُجُودَ تَكْرِيمٍ وَتَحِيَّةٍ، أَطَاعَتِ المَلَائِكَةُ أَمْرَ رَبِّهَا، لَكِنَّ «إِبْلِيسَ» اللَّعِينَ رَفَضَ أَنْ يُطِيعَ أَمْرَ رَبِّهِ– سُبْحَانَهُ– فَلَمَّا سَأَلَهُ اللَّهُ– عَزَّ وَجَلَّ–لِمَاذَا لَمْ تَسْجُدْ لآدَمَ إِذَا أَمَرْتُكَ؟ قَالَ فِي اسْتِكْبَارٍ وَعُلُوٍّ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ «آدَمَ» خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ، وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، فَكَانَ عَاقِبَتُهُ أَنْ حَرَمَهُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَطَرَدَهُ مِنْ جَنَّتِهِ، فَلَا مَكَانَ فِي الجَنَّةِ لِلمُتَكَبِّرِينَ، قَالَ ﷺ : «**لَايَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

إِنَّ الكِبْرِيَاءَ وَالعَظَمَةَ صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ– أَخْتُصَّ بِهِمَا، وَلَايَجُوزُ أَنْ يُشَارِكَهُ فِيهِمَا أَحَدٌ، وَلَايَنْبَغِي لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَةٍ مِنْهُمَا؛ فَكَمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا لَايَقْبَلُ أَنْ يُشَارِكَهُ أَحَدٌ فِي إِزَارِهِ أَوْ رِدَائِهِ الَّذِي يَلْبَسُهُمَا، فَكَذَلِكَ الخَالِقُ –جَلَّ وَعَلَا– لَايَقْبَلُ أَنْ يُشَارِكَهُ أَحَدٌ فِي هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، أَمَّا مَنْ يَتَجَرَّأُ مِنَ الخَلْقِ، وَيَتَعَالَى عَلَى النَّاسِ، وَيَتَكَبَّرُ عَلَيْهِم، وَيَرَى نَفْسَهُ مُتَمَيِّزًا عَنْهُم، فَيَدْعُوهُم إِلَى تَمْجِيدِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَالخُضُوعِ وَالمَذَلَّةِ لَهُ فَسَوْفَ يُذِلُّهُ اللَّهُ غَايَةَ الذُّلِّ، وَيُهِينُهُ غَايَةَ الهَوَانِ، وَيَجْعَلُهُ تَحْتَ أَقْدَامِ الخَلْقِ يَومَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَكُونُ مَآلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّارِ .

فَكُنْ مُتَوَاضِعًا لِلَّهِ حَتَّى يَرْفَعَكَ اللَّهُ بِعِزِّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ قَالَ ﷺ :«**مَاتَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلا رَفَعَهُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَلَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فَقَدْ كَانَ يُصْلِحُ نَعْلَهُ، وَيَخْدُمُ أَهْلَهُ، وَيَأْكُلُ مَعَ خَادِمِهِ.

نِهَايَةُ مُتَكَبِّرٍ

كَانَ «فِرْعَونُ» أَحَدَ المُلُوكِ الظَّالمينَ الَّذينَ تَوَلَّوا حُكْمَ «مِصْرَ»، وَكَانَ رَجُلاً مَغْرُورًا مُتَكَبِّرًا ادَّعَى أَنَّه إِلَهٌ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَعْبُدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّه، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيه نَبِيَّهُ «مُوسَى» – عَلَيه السَّلامُ– لِيَدْعُوَهُ إِلَى الإِيمَانِ بِاللَّه وَحْدَهُ، لَكِنَّ «فِرْعَوْنَ» رَفَضَ دَعْوَةَ «مُوسَى» فِي اسْتِكْبَارٍ وَغُرُورٍ، واتهَمَهُ بِالكَذِبِ وَالجُنُونِ، فَأَرَادَ «مُوسَى» أَنْ يُرِيَهُ بَعْضَ مَا أَيَّدَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ مُعْجِزَاتٍ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَتَحَوَّلَتْ إِلَى ثُعْبَانٍ ضَخْمٍ، لَكِنَّ «فِرْعَونَ» لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تِلْكَ المُعْجِزَةِ العَظِيمَةِ، بَلِ اتَّهَمَ «مُوسَى» بِالسِّحْرِ وَالخِدَاعِ، وَجَمَعَ لَهُ السَّحَرَةَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِيَهْزِمُوهُ بِسِحْرِهِم فَيَنْصَرِفُ النَّاسُ عَنْ دَعْوَتِه، وَفِي المَوْعِدِ المُحَدَّدِ تَجَمَّعَ السَّحَرَةُ، ووَعَدَهُم «فِرْعَوْنُ» بِمُكَافَأَةٍ كَبِيرَةٍ إِنِ انْتَصَرُوا عَلَى «مُوسَى»، فَفَرِحَ السَّحَرَةُ، وَأَلْقَوا حِبَالَهُم وَعِصِيَّهُم، فَتَخَيَّلَ النَّاسُ مِنْ سِحْرِهِم أَنَّهَا ثَعَابِينُ تَتَحَرَّكُ، فَصَاحُوا فِي دَهْشَةٍ، فَامْتَلأَ «فِرْعَونُ» غُرُورًا وَكِبرًا وَفَرَحًا، فَأَلْقَى «مُوسَى» عَصَاهُ فَتَحَوَّلَتْ إِلَى حَيَّةٍ عَظِيمَةٍ الْتَهَمَتْ كُلَّ مَاأَلْقَاهُ السَّحَرَةُ فَخَرَّ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ، وَآمَنُوا بِرَبِّ العَالَمِينَ، فَثَارَ «فِرْعَونُ»، واتَّهَمَهُم بِالتَّآمُرِ مَعَ «مُوسَى»، وَصَلَبَهُم أَجْمَعِينَ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَأَمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِمُوسَى، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّه أَنْ يَخْرُجَ مِنْ «مِصْرَ» هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ إِلَى «بَيْتِ المَقْدِسِ»، فَلَمَّا عَلِمَ «فِرْعَونُ»، بِذَلِكَ خَرَجَ بِجَيشٍ كَبِيرٍ خَلْفَهُم، وَعِنْدَمَا وَصَلَ«مُوسَى» وَمَنْ مَعَهُ إِلَى شَاطِئِ البَحْرِ اقْتَرَبَ مِنْهُم «فِرْعَونُ» وَجُنُودُهُ، وَكَادُوا يَلْحَقُونَ بِهِم، وَهُنَا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَضْرِبَ البَحْرَ بِعَصَاهُ، فَانْشَقَّ البَحْرُ نِصْفَينِ، وَظَهَرَ طَرِيقٌ مُمَهَّدٌ فَعَبَرَ عَلَيه«مُوسَى» وَمَنْ مَعَهُ فِي أَمَانٍ، وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ جَاءَ «فِرْعَونُ» وَجُنُودُهُ، وَرَأَى بِعَيْنِه تِلْكَ الآيَةَ العَظِيمَةَ، لَكِنَّهُ بَدَلاً مِنْ أَنْ يُؤْمِنَ بِرَبِّ العَالَمِينَ اسْتَمَرَّ عَلَى كِبْرِه وَعِنَادِه وَكُفْرِه، وَعَبَرَ خَلْفَ«مُوسَى» لِيَقْتُلَهُ، فَأَمَرَ اللَّهُ البَحْرَ فَعَادَ كَمَا كَانَ، فَغَرِقَ«فِرْعَونُ» وَجُنُودُهُ أَجْمَعُونَ.

فِي رِحَابِ الأَحَادِيثِ الْقُدْسِيَّةِ

١

عَنْ «أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِذا ابْتَلَى اللَّهُ العَبْدَ المُسْلِمَ بِبَلاءٍ فِي جَسَدِهِ قَالَ اللَّهُ: اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، فَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ)

٢

عَنْ «أَبِي هُرَيْرَةَ» النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ العَبْدُ: الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي (وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي). فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ: قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ «فاتحة الكتاب». قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

٣

عن «أبي هُرَيْرَةَ» قَالَ: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: يا ابْنَ آدمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَارَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ: قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدمَ! اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَارَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يا ابْنَ آدمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟».